النفحات المكية

في تفسير كتاب رب البرية

تأليف الشيخ
محمد بن صالح بن عبد الله الشاوي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

النفحات المكية

في تفسير كتاب رب البرية

تأليف الشيخ

محمد بن صالح بن عبد الله الشاوي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

العبيكان
Obeikan

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الله تعالىٰ خلقنا لغاية عظيمة، ومهمة جسيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وفرض علينا سبحانه فرائض، فمِن أحب الأشياء إليه سبحانه؛ أن يلتزم العبد بما فرضه عليه، وأن ينتهي عما نهاه عنه، والعاقل من يغتنم أيام عمره وساعاته ولحظاته في طاعة ربه، والتقرب إليه بأنواع العبادات والقربات، والخاسر من أضاع عمره في اللهو واللعب والجري وراء الشهوات، وإن من أعظم الطاعات والقربات ملازمة كتاب الله عز وجل؛ تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا، ففي هذا الكتاب الهدىٰ والرحمة والبشرىٰ والموعظة والذكرىٰ لأهل الإيمان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وهذا القرآن يأتي يوم القيامة منافحًا عن صاحبه الذي كان يتعاهده بالتلاوة والتدبر، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(١)، ومنزلة صاحب القرآن يوم القيامة هي أعلىٰ المنازل وأرفعها، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران**»(٢)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(٣)، ومن هنا كان النبي ﷺ وهو من أنزل عليه القرآن يكثر من تلاوته وتدبره وكان يدارس جبريل القرآن في كل ليلة من رمضان(٤).

وكان السلف رحمهم الله يتعاهدون هذا الكتاب بالتلاوة والتدبر والفهم، فهذا ابن مسعود رحمه الله يقول: لا تهذوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة، ومع ذلك فقد كان رحمه الله يختم القرآن في كل أسبوع مرة، وفي رمضان في كل ثلاث ليال مرة.

ولقد رأيت من الوالد حفظه الله عناية بكتاب الله تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا، حتىٰ أنه ترك لأبنائه جميع أعماله وتجارته، منذ ربع قرن تقريبًا، وذهب إلىٰ مكة وسكن بجوار الحرم المكي، حتىٰ لا يشغله شيء عن القرآن ومدارسته، وكان الوالد حفظه الله ولا يزال يختم القرآن في كل يوم مرة، لا يثنيه عن ذلك إلا الضرورة القاهرة، هذا بخلاف عباداته الأخرىٰ من الصلاة والقيام والطواف، وحضور دروس الحرم المكي، وكتابة الفوائد والمعاني التي تتعلق بالآيات علىٰ هامش مصحفه الخاص الذي يقرأ فيه.

وبعد استشارة الوالد حفظه الله قمت بجمع هذه الفوائد وطبعها في كتاب لينتفع به، وقد أسماه حفظه الله: (**نفحات قرآنية**)، ثم أشار بعض الأخيار علىٰ الوالد بأن يكمل العمل في كافة سور وآيات القرآن، فاستجاب لهم حفظه الله، علىٰ الرغم من أن عمره قد تجاوز الثمانين، فواصل العمل من سورة الفاتحة إلىٰ سورة الناس حتىٰ انتهىٰ منه بفضل الله ومعونته وكرمه، وقد أسماه: (**النفحات المكية في تفسير كتاب رب البرية**).

فنسأل الله أن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يجزيه خير الجزاء علىٰ ما قدم ويقدم، وأن يجعل هذا العمل في موازين أعماله، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتىٰ الله بقلب سليم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

صالح بن محمد بن صالح الشاوي

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، **أما بعد:**

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله الذي أنزله علىٰ نبيه محمد ﷺ، لهداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، وفرقانًا بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[إبراهيم:١].

وهذا الكتاب فيه الهدىٰ والنور والرحمة، وهو طريق السعادة في الدنيا والآخرة لمن تمسك به وعمل بما فيه، وفيه المخرج من كل فتنة، والسلامة من كل حيرة، عند التباس الطرق واشتباه الأمور؛ **لذا** حري بكل مسلم أن يتعاهده بالتلاوة والحفظ والفهم والتدبر آناء الليل والنهار، فقد قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]، وأن يحذر كل الحذر من هجره والإعراض عنه.

ولما كان الانتفاع بالقرآن متوقفًا علىٰ فهم معانيه، شرُف علم التفسير علىٰ سائر العلوم، لأنه متعلق بفهم معاني أعظم الكتب وأشرفها، وتبيين أحكام الله عز وجل التي أنزلها في هذا الكتاب للناس، وهذه وظيفة الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، فمن اشتغل بالقرآن وتفسيره وفهم معانيه حاز قصَب سبق العلوم، ونال شرف الخيرية التي ذكرها رسول الله ﷺ لمتعلم القرآن ومعلمه.

وإن من التحدث بنعمة الله عز وجل أنَّ الله وفقني لحفظ القرآن قبل البلوغ، وبعد انخراطي في العمل وتدرجي في الوظائف الحكومية، ثم اشتغالي بالتجارة بعد ذلك أنسيت كثيرًا من سور القرآن، ثم قررت بعد ذلك أن أترك ما يشغلني عن القرآن وأستعيد حفظه، فسكنت بجوار الحرم المكي، وأقبلت علىٰ قراءة القرآن، وتدبره وفهم معانيه، وكنت كلما أشكل علي شيء راجعت تفسيره وعلقت علىٰ هامش مصحفي الذي أقرأ فيه، فتحصل عندي تعليقات كثيرة من معاني الآيات وفوائدها التربوية، أو اللطائف التفسيرية.

ثم أشار علي بعض المحبين أن أجمع هذه التعليقات في كتاب لينتفع بها، وبعد جمعها ومراجعتها طُبعت في كتاب أسميته: (**نفحات قرآنية**)، ثم طلب مني بعض أهل العلم والزملاء والدكاترة أن تكون هذه المعاني والفوائد شاملة لجميع آيات القرآن الكريم، فاستعنت بالله عز وجل ومررت علىٰ جميع سور وآيات القرآن، مبيِّنًا معانيها وبعض ما فيها من الفوائد واللطائف والأحكام والتنبيهات، فكان هذا المختصر الذي أسميته: (**النفحات المكية في تفسير كتاب رب البرية**).

ثم أشار علي ابني صلاح حفظه الله أن يُطبع هذا التفسير على حاشية صفحات مصحف المدينة النبوية؛ حيث أنه أكثر انتشارًا وقبولًا، فيجمع بين القرآن والتفسير، فتم ذلك ولله الحمد والمنة.

وإني لأشكر الله عز وجل علىٰ تمكيني من إتمام هذا العمل، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصًا لوجهه، صوابًا علىٰ سنة نبيه ﷺ، كما أشكر كل من ساعدني وتعاون معي في هذا العمل، وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعله لي ولكل من عمل فيه زادًا إلىٰ حسن المصير إليه، وعتادًا إلىٰ يُمْنِ القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا.

وكتبه

محمد بن صالح بن عبد الله الشاوي

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠٢٧).

ترجمة موجزة للمؤلف
فضيلة الشيخ محمد بن صالح الشاوي
حفظه الله (١)

هو: محمد بن صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن غانم الشاوي البقمي الأزدي.

ولد في البكيرية، بتاريخ: (٢٣/ ٩/ ١٣٥٠هـ)، الموافق: ٣١/ ١/ ١٩٣٢م.

نشأ الشيخ محمد بين أبوين محافظين ومتدينين، فقد كان والده فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الشاوي عالمًا من علماء البكيرية، وكان من الموسرين ولله الحمد والمنة، ولذلك اعتذر لما كلف بالقضاء مرتين؛ لأن القضاء سوف يشغله عن الاستمرار في تحصيل العلم وإلقاء الدروس وعن أعماله التجارية.

ثم حفظ الشيخ محمد القرآن منذ نعومة أظفاره، حيث بدأ بالحفظ علىٰ يد الشيخ عبدالله الخليفي قبل أن يكون إمامًا للحرم المكي، ثم أكمل حفظه علىٰ الشيخ عبدالرحمن بن كريديس في مسجد تركي.

وبعد أن حفظ القرآن بدأ بمسيرة طلب العلم؛ حيث اهتم به والده وبدأ بإحضاره إلىٰ مجالس العلماء ليتعلم ويستفيد منهم، وكان أول ذلك عندما بلغ التاسعة من عمره، حيث كان يجلس مع طلبة العلم الذين يدرسون عند والده فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الشاوي رحمه الله في كتب ابن القيم، وكتب التفسير، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيرة النبوية، ولهذا يعتبر والده هو شيخه الأول الذي تعلم عليه بعض العلوم الشرعية.

ولما بلغ الحادية عشرة من عمره، رغب إليه والده أن ينضم إلىٰ الحلقة في المسجد الجامع ليدرس علىٰ الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل إمام الحرم المكي، والشيخ عبدالعزيز بن سبيل، والشيخ العلامة محمد المقبل وغيره من علماء ذلك الزمان، وفي السنة الثالثة عشرة من عمره سافر إلىٰ الرياض وانضم مع طلبة العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأخيه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، وغيرهم من العلماء آن ذاك.

ولما قدم ابن العم عبدالله ابن العم الشيخ محمد بن عثمان الشاوي رحمه الله من الطائف؛ أقنعه بالالتحاق بدار التوحيد في الطائف، فالتحق ودرس بها، وبعد أن أخذ شهادة المتوسطة من دار التوحيد عاد إلىٰ الرياض، وأكمل الثانوية في المعهد العلمي بالرياض، وفي عام ١٣٧٢هـ الْتحق بكلية الشريعة والتي كانت تسمىٰ آنذاك (دار العلوم الشرعية)، واستمر فيها حتىٰ تخرجه عام (١٣٧٦هـ)، وكان من ضمن أول دفعة تخرجت من الكلية، وكان من مشايخه وأساتذته الذين درس عليهم في الكلية: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤلف تفسير أضواء البيان، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والدكتور عبدالرزاق عفيفي، وغيرهم من أهل العلم آنذاك.

وبعد تخرجه من كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ تم تعيينه قاضيًا في المنطقة الشرقية في بلدة النعيرية بتاريخ: ١٥/ ٢/ ١٣٧٧هـ، وقام بتأسيس المحكمة الشرعية فيها، وعُيِّن رئيسًا لها، واستمر عمله في مجال القضاء حتىٰ تاريخ: ١٦/ ٨/ ١٣٧٩هـ، وفي أثناء وجوده في النعيرية قاضيًا تولىٰ إمامة جامع النعيرية، وتولىٰ الخطابة يوم الجمعة وفي الأعياد والمناسبات، ومن المهام التي تولاها أثناء عمله قاضيًا في النعيرية تأسيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، ثم عُيِّنَ رئيسًا لها، وتولىٰ أعمال الحسبة فيها لفترة وجيزة حتىٰ تم تعيين رئيس مستقلٍّ لها.

وبعد عامين تقريبًا من عمله في مجال القضاء طلب منه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الانتقال إلىٰ الرياض لتأسيس وافتتاح كتابة العدل ورئاسة العمل فيها، والقيام بعمل اللازم لها؛ حيث لم يكن هناك كتابة عدل رسمية بهذا الاسم قبل ذلك في منطقة الرياض والقصيم، وبعد الانتهاء من عمليه تأسيس وافتتاح كتابة العدل عُيِّن رئيسًا لها؛ فكان أول رئيس لكتابة العدل بالرياض، وقد رتب فضيلته ما يلزم لها من الأنظمة والقوانين والموظفين وباشر العمل فيها بتاريخ: ١٨/ ٨/ ١٣٧٩هـ.

وخلال فترة عمله رئيسًا لكتابة العدل كلِّف بالعمل عضوًا قضائيًا احتياطيًا بهيئة المنازعات التجارية في الفترة المسائية

---

(١) هذه الترجمة كتبها ابنه الشيخ صالح بن محمد الشاوي.

في حالة تغيب أحد أعضاء الهيئة، وذلك بتاريخ: ٢٨/ ٥/ ١٣٨٩هـ، ثم صار بعد ذلك عضوًا رسميًّا بعد أن طلب الشيخ محمد بن جبير رحمه الله أحد الأعضاء الإعفاء للتفرغ إلىٰ عمله الرسمي.

ومن الأعمال التي تولاها قيامه بعقود الأنكحة بين الناس، حيث عمل مأذونًا للأنكحة، وقد تم تعيينه في هذا العمل بتاريخ: ٥/ ٤/ ١٣٩٢هـ، بجانب عمله في كتابة العدل بالرياض، ومن الأعمال التي تولاها أيضًا تعيينه عضوًا مؤسسًا في مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، ثم انتخب أيضًا من قبل زملائه وعيِّن عضوًا إداريًا بتاريخ: ١/ ٨/ ١٣٩٨هـ، كل ذلك بجانب عمله في كتابة العدل.

ومن الأعمال أيضًا تعيينه مستشارًا لمعالي وزير العدل آنذاك الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ بتاريخ: ١٥/ ٣/ ١٣٩٨هـ، وبعد فترة وجيزة من عمله مستشارًا طلب الإعفاء والتقاعد المبكر فتحقق له ما يريد وذلك بتاريخ: ٩/ ٢/ ١٣٩٩هـ؛ لأنه يريد إراحة نفسه من الأعمال الرسمية، والتفرغ لكتابة البحوث والعبادة ونحو ذلك.

وبعد التقاعد قرر الانتقال إلىٰ مكة المكرمة حرسها الله، وسكن بجوار الحرم المكي، وكان يصلي فيه الصلوات الخمس، ويحضر الدروس والمحاضرات، وقد ساعده ذلك علىٰ استعادة حفظه لكتاب الله.

وأما عن مؤلفاته فلم يشغل الشيخ محمد نفسه كثيرًا في التأليف؛ لأنه كان مشغولًا في أول حياته بالوظائف الحكومية والخطابة وغيرها من الأعمال، وبعد التقاعد انشغل كثيرًا في مجال الأعمال الحرة والتجارة والاهتمام بالعبادة وغيرها، ومع ذلك لم يهمل الشيخ بعض البحوث والكتابات المفيدة والتي جمعناها في المؤلفات التالية:

١- قبسات من الحرم المكي، ٢- خطبة المنبر، ٣- حِكَمٌ مُختاراتٌ من عيون الشعر والأدب، ٤- الرد الوارف علىٰ من أباح ربا المصارف، ٥- القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة، ٦- قطوف دانية - عبارة عن مقالات وموضوعات متنوعة، ٧- تراجم علماء الشاوي، ٨- نفحات قرآنية، ٩- النفحات المكية في تفسير كتاب رب البرية.